



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

أكتوبر ٢٠١٤ م

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة

حرب الغيرة

هوذا الشيطان قد خرج ليزرع. فأخذ يتحدث في أذن تاسوني وهي إحدى زوجات الكهنة قائلاً: أحقاً لازلتِ موضع إهتمام ومحبة زوجك الكاهن؟ هنا انزعجت الزوجة المسكينة وأجابته على الفور: "نعم أنا متأكدة من ذلك". ثم مضى عنها الشيطان إلى حين. وفي اليوم التالي استيقظت تاسوني لتجد لديها احتقان شديد في الحلق ودرجة حرارة مرتفعة فتوقعت من زوجها الكاهن أن يبقى بجوارها هذا اليوم إلا أن أبونا اعتذر لها بكل رقة موضحاً أن جدول هذا اليوم مشحون بمواعيد كثيرة لا يستطيع الإعتذار عنها. فهوذا اليوم سيأتي شاب للإعتراف أخيراً بعد طول انتظار وصلاة من أجله لسنوات طويلة، وبعد ذلك سيذهب لزيارة مريض يحتضر لا يدري إن كان سيعيش للغد أم لا، ثم هناك مشكلة أسرية لا بد من التدخل بها اليوم حيث أن الزوجين في انتظار زيارة أبونا لحسم أمرهما من جهة الانفصال من عدمه، وهذا طبعاً بالإضافة إلى المرور على الكنيسة للإشراف على بعض الأمور الإنشائية وحل بعض المشاكل والعقبات الإدارية ثم صلاة التسبحة ورفع بخور عشية ولو تبقى بعض الوقت فلا مانع من أخذ بعض الإعترافات. هنا تنهدت تاسوني بعمق وقالت لأبونا: "ربنا يقوي قدسك". وبمجرد أن خرج أبونا عاد

الشيطان متسائلاً: "ألم أقل لك أنك آخر واحدة قد يهتم بها أبونا؟ إن كان قد فعل ذلك في مرضك فكم وكم في عافيتك؟". هنا تنهدت تاسوني في حسرة قائلة: "مسكين أبونا ربنا يقويه مسئولياته كثيرة". فمضى عنها إلى حين.

وهكذا تكرر السيناريو مرات عديدة فمعروف عن الشيطان أنه قد ينتظر كثيراً حتى يحقق ما يريد دون أن يستسلم أبداً. ومما ساعد على ذلك أن تاسوني لم يخطر على بالها قط أن تكشف أب إعترافها بهذه الأفكار التي تراودها حيث اعتبرتها أمراً عابراً لا يستحق التوقف عنده.

بعد قليل بدأ أبونا يلاحظ أن الإبتسامة قد غادرت وجه زوجته وحل محلها تبهم وعبوس. ثم بدأ يغلب على نبرة صوتها في حديثها معه غضب مشوب بالحزن. ثم أنها بدأت تلاحقه بشكل مبالغ فيه. فهي تحاصره بالمكالمات التليفونية لتعرف خط سيره بدقة. كما بدأت تظهر عليها علامات عدم الإرتياح من بعض الشخصيات بعينها حيث لاحظ أبونا ازدياد ارتباكها وتوترها عندما يتحدث عنهم بالصدفة أو تكتشف أنه كان في زيارة لأحدهم.

عندئذ جاء الشيطان من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها محاولاً أن يزرع مرارة وحزن في قلب أبونا من جهة تاسوني قائلاً: "إنها تكاد تخنقك بمحاصرتها لك. إنها تريد أن تمتلكك لها وحدها ٢٤ ساعة في اليوم. إنها أنانية لا تفكر سوى في نفسها فهي لا تشعر بك ولا بمدى المسئولية الملقاة على عاتقك. أين روحانيتها ووعودها بمشاركتك في حمل صليب الخدمة؟ لقد أطلت بالك عليها كثيراً وحاولتها أكثر فالآن جرب أن تغير سياستك معها بأن لا تلتفت إليها وأظهر لها بعض التجاهل لعلها ترجع عن ملاحقتك".

هنا استحسن أبونا هذه الفكرة وبدأ في تنفيذها. فبعدما كان يرد على التليفون في كل مرة تتصل به تاسوني بدأ يرد على مكالمة من بين كل خمس مكالمات، وبدأ يختصر في الرد جداً ويحجب على تساؤلاتها عن مكان تواجدته وإن كان سيشاركهم الغذاء أم لا بردود مبهمه. كما أنه لم يعد يهتم بإنشغالها الزائد بالشخصيات التي لا ترتاح إليها فلماذا يتعين عليه أن يحتمل هذا الضغط النفسي الشديد الذي تضيفه زوجته إلى الضغوط الكثيرة الواقع تحتها؟

إلا أن هذه الروشته جعلت الأمور تصير إلى أروء حيث أتت بنتائج عكس النتائج المرجوة تماماً. فقد بدأ التوتر يعلو ويتصاعد بين أبونا وتاسوني حتى وصل ذروته عندما كانا في رحلة مع الشعب فعاد عدو الخير ليهمس في أذنها: "كم أنت مسكينة ووحيدة! أنظري كيف يجلس كل زوج إلى جوار زوجته مهتماً بها. إنه لها وحدها لا يشاركها فيه آخرون. يبدو أن موافقتك على رسامة زوجك كاهناً كانت غلطة عمرك!". هنا لم تعد تاسوني قادرة على إخفاء إستيائها أكثر من ذلك بينما ظل أبونا حائراً من أمرها لا يعرف كيف يرضيها ويريحها.

في المساء بعد عودتهما من الرحلة دخل أبونا غرفته للصلاة ووضع حيرته أمام الله طالباً إرشاد الروح القدس وهو متألم من كونه يستطيع أن يكون مريحاً للتعبى وأما زوجته فهو يقف حائراً عاجزاً لا يعرف كيف يريحها. ثم خرج من الصلاة متعزياً واثقاً من أن الله الذي دعاه للخدمة الكهنوتية لابد وأن يقبل صلاة إيمانه ويساعده على أن يدبر بيته حسناً.

في اليوم التالي استقبل أبونا مكالمة تليفونية من أب إعترافه الذي هو أيضاً أب إعتراف زوجته وهو شيخ وقور بار له خبرة في تمييز وإفراز حروب عدو كل خير. لقد طلب الكاهن الشيخ ترتيب ميعاد ليأتي لزيارة أبونا وتاسوني في بيتهما حيث اتصلت به تاسوني طالبة منه ذلك. وبالطبع لاقى الطلب كل قبول وترحاب فهوذا استجابة الصلاة على الأبواب.

بدأ أبونا الشيخ في الإستماع لكل منهما بكل تركيز وإنباه ثم إلتفت إلى تاسوني قائلاً: "يا بنيتي هذا هو شيطان الغيرة اللعين الذي يحارب زوجات الكهنة باستمرار. إنه يزرع في قلب زوجة الكاهن خوفاً شديداً من الشعور بالحجر والوحدة، ثم يضخم لها هذه المخاوف حتى لا تعود تميز بين ما هو حقيقي وموضوعي وما هو مجرد هواجس وتصورات عن تخلي مرتقب حتى أنها تكاد تصدق أنها فقدت زوجها الكاهن ولم يعد لها فيه نصيب بعد أن كانت هي كل حياته ومحور إهتمامه ورعايته. وعندما يتسلل شيطان الغيرة هذا إلى قلب زوجة الكاهن فإنه لا يأتي فارغاً لكنه يجلب معه بذار الغضب، والحزن، وصغر النفس، والتشويش. كما أنه يوقد نار حارقة في القلب تدفع الزوجة إلى محاصرة زوجها وملاحقته في كل حين متصورة أنها بذلك تستعيده إلى دائرتها وتجعله يعيدها إلى مركز إهتمامه وإنشغاله. لكنها لا تدري أنها عندما تفعل ذلك تتحول دون أن تدري إلى مصدر حزن وحيرة وتشويش لزوجها الكاهن مما قد يتسبب في تعطيل خدمته وتعثرها.

شيطان الغيرة هذا قديم الأيام فهو قد حارب راحيل زوجة يعقوب التي قال عنها الكتاب المقدس: "فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها

وقالت ليعقوب هب لي بنين وإلا فأنا أموت. فحمي غضب يعقوب على راحيل وقال ألعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن" (تك ٣٠: ١-٢). أنظري كيف تصورت راحيل تصوراً خاطئاً أنها ستفقد محبة يعقوب زوجها ما لم تلد له البنين مثل أختها ليئة وإذ تسلت الغيرة إلى قلبها حزنت لدرجة أنها طلبت الموت لنفسها. لكن غيرتها تلك جعلت يعقوب يغضب عليها وينفر منها بدلاً من أن يقترب منها أكثر.

نفس ذلك الشيطان حارب حنة أم صموئيل. فقد كانت فنة ضررها "تغيظها أيضاً غيظاً لأجل المراغمة لأن الرب أغلق رحمها" (١ صم ١: ٦). وعلى الرغم من أن ألقانة زوجها أعطاهما نصيب اثنين لأنه كان يحبها إلا أنها "بكت ولم تأكل" (١ صم ١: ٧) فجلبت على نفسها عتاب زوجها الذي قال لها: "يا حنة لماذا تبكين ولماذا لا تأكلين ولماذا يكتب قلبك. أما أنا خير لك من عشرة بنين" (١ صم ١: ٨).

وبولس الرسول إذ يعلم تماماً خطورة الغيرة فإنه يصنفها من ضمن أعمال الجسد مساوياً إياها بعبادة الأوثان والزنى: "وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام **غيرة** سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله" (غل ٥: ١٩-٢١).

أما عن الآثار المدمرة للغيرة حين تأكل قلب الإنسان فيقول عنها سفر أيوب: "لأن الغيظ يقتل الغي والغيرة تميم الأحمق" (أي ٥: ٢). أما يعقوب الرسول فيحذر منها قائلاً: "لأنه حيث **الغيرة** والتحزب هناك التشويش وكل أمر رديء"

(يع ٣: ١٦). ألم يجني الغيرون على مدار الكتاب المقدس ثمرة مرة لغيرتهم؟ أنظري إلى أين قادت الغيرة قايين (تك ٤: ٣-١٦)، وقورح ودathan وأبيرام (عد ١٦)، ومريم أخت موسى لما غارت منه (عد ١٢)، وشاول الملك لما غار من داود (١ صم ١٨: ٦-٨)؟

والآن يا بنيتي بعد أن فهمتي طبيعة مشاعر الغيرة المعقدة وأصل وجذر حدوثها وعرفتي آثارها المدمرة على علاقاتك وعلى سلامك الداخلي تعلمي منذ الآن أن تفحصي ذاتك من جهة هذه الحرب اللعينة. إسألي نفسك في كل مرة تشعرين بالإضطراب : هل أنا غيرانة؟ وإن كانت الإجابة نعم فإجني عن سبب غيرتك هل هو خوف من التخلي أم هو عدم الثقة بالنفس أم الرغبة في التملك والسيطرة أم الشعور بعدم الأمان؟ وإذا أرشدك الروح القدس طبيب النفوس الماهر إلى أن هذا المرض الخبيث معشش في أعماق نفسك فأسرعي إلى مخدعك وأغلقي بابك وإنسكي أمام الله معترفة له بضعفك هذا طالبة منه العون والشفاء. ثم إعلمي أن العلاج الفعال للغيرة يكمن في كلمة واحدة هي "**الثقة**". الثقة أولاً في الله الذي يملأ كل احتياجاتك النفسية والروحية بحسب غناه في المجد، وثانياً في زوجك الكاهن لأنه بك يثق قلبه وأنت وحدك من يدعوها: "يا אחتي يا حبيبي يا حمامتي يا كاملتي" (نش ٥: ٢)، وثالثاً الثقة في نفسك فأنت بنت الله المخلوقة على صورته ومثاله والمرأة الفاضلة المتقية الرب التي يفوق ثمنها كل اللآلئ".

إذ سمع الشيطان قول هذا الأب المفرز الحكيم ورأى ندم تاسوني وإعترافها بضعفها وتفهم زوجها الكاهن لهذا الضعف واحتواءه لها فارقهم في غيظ شديد، ولكن إلى حين، وقد قرر أن يعود لاحقاً لكي ينصب لهما فخاً آخر يوقعهما في أشراكه.